المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات
The Palestinian Center for Policy Research and Strategic Studies - MASARAT

ورقة بحثية

تطوّر نوعي لعمليات المقاومة الفلسطينية ينذر بتصاعد كمّي

إعداد
ضحى حمامدة
مشاركة في برنامج "التفكير الإستراتيجي وإعداد السياسات"

7 تمّوز 2019

مقدمة

تصاعدت أعمال مقاومة ضد الاحتلال داخل فلسطين التاريخية خلال العام 2018 وفقًا لإحصائيات مركز القدس لدراسات الشأن الإسرائيلي والفلسطيني، وحصاد موقع "فلسطين نت"، وتقارير جهاز الأمن العام الإسرائيلي "الشاباك" الشهرية، مقارنة بالعامين 2016 و2017.[1] فلم يكد يمر يوم يخلو من المواجهات في أغلب المناطق، ولم يكد يمر شهر دون قتل أو إصابة جندي أو مستوطن، حتى تحوّلت المستوطنات إلى ميادين مهددة على الرغم من سيطرة الاحتلال على الأرض، وسيادة واقع أمني معقد يسعى لإعاقة العمليات بأشكالها المختلفة.[2] فما الدوافع التي آلت إلى تصاعد عمليات المقاومة؟ وهل من علاقة بينها وبين توتر العلاقات السياسية الإسرائيلية الفلسطينية؟ وهل ستتحول أعمال المقاومة إلى حراك شعبي واسع؟

مؤشرات التصاعد

شهد العام 2018 تصاعدًا في انتهاكات الاحتلال (الموضحة في الجدول أدناه) مقارنة بالأعوام (2015-2017)، صحبها رد فعل موازٍ في تصاعد أعمال المقاومة، التي هي حصيلة كل من المواجهات، وإلقاء الحجارة، والعبوات البدائية الناسفة، وإطلاق الزجاجات والطائرات الورقية الحارقة، والطعن، ومحاولات الطعن، والدهس، وإطلاق النار، وإطلاق الصواريخ.

اطلاق نار في الضفة والقدس	اصابة	اعتقال	اعتداء مستوطنين	مداهمة مناطق	مداهمة منازل	منع سفر
2129	10706	5700	762	4634	3361	3429
تدمير ممتلكات	مصادرة ممتلكات	تدنيس الاقصى	حواجز	ايذاء جسدي	ابعاد عن الاقصى والقدس	نشاط استيطاني
381	369	268	4464	82	206	91

جدول (1): انتهاكات الاحتلال خلال العام 2018[3]

** هذه الورقة تعبر عن وجهة نظرة كاتبتها، ولا تعكس بالضرورة موقف مركز مسارات.

[1] التقارير الشهرية، موقع جهاز الأمن العام الإسرائيلي "الشاباك". bit.ly/2RV7qUl

[2] بالتفاصيل .. عام 2018 شهد ارتفاعاً ملحوظاً في عمليات المقاومة بالضفة، مركز القدس لدراسات الشأن الإسرائيلي والفلسطيني، 2018/10/31، bit.ly/2tk2AWC

[3] تقرير شامل: 32252 انتهاكاً نفذه جيش الاحتلال خلال العام 2018، مركز القدس لدراسات الشأن الإسرائيلي والفلسطيني، 2019/1/17. bit.ly/2RH7siA

وانظر: فلسطين نت يصدر حصاد فلسطين للعام 2018، فلسطين نت، 2019/2/4. bit.ly/2X6ldLA

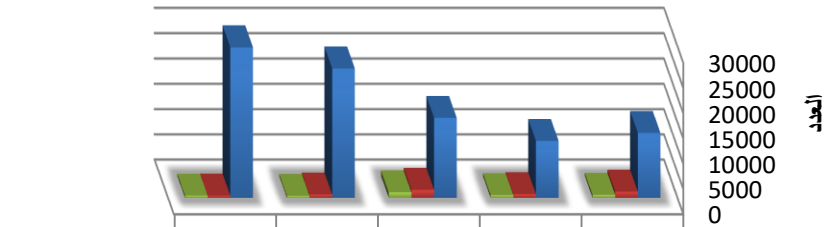

	2018	2017	2016	2015	2014
مقتحمو الأقصى	29801	25630	15878	11307	12892
المهجرون	472	664	1601	738	1236
عمليات الهدم	459	419	1094	560	609

الأعوام

شكل 1: مقارنة انتهاكات الاحتلال في القدس والضفة الغربية خلال الأعوام الأخيرة [4]

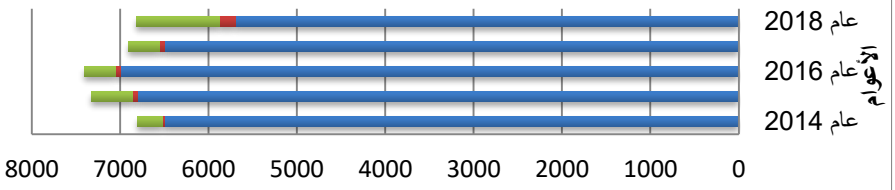

	عام 2014	عام 2015	عام 2016	عام 2017	عام 2018
حصيلة الأسرى	6500	6800	7000	6500	5700
النساء	21	60	49	58	175
الأطفال	280	470	350	350	940

العدد

شكل 2: مقارنة أعداد الأسرى داخل فلسطين التاريخية [5]

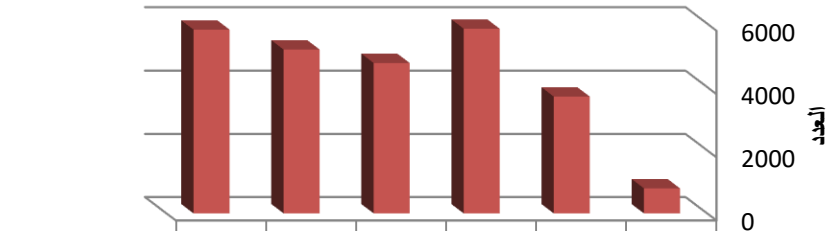

	عام 2018	عام 2017	عام 2016	عام 2015	عام 2014	عام 2013
العدد خلال العام	5809	5182	4758	5838	3699	793

شكل 3: مقارنة حصيلة أعمال المقاومة داخل فلسطين التاريخية [6]

شهدت الساحة الفلسطينية ما بعد العام 2015 عودة قوية لعمليات إلقاء الزجاجات الحارقة والطائرات الورقية الحارقة بعد تراجع لعامين، وثبات عمليات إلقاء العبوات الناسفة البدائية

[4] من إعداد الباحثة استناداً إلى المصادر: فلسطين نت يصدر حصاد فلسطين للعام 2018، مصدر سابق، أرشيف نشرة فلسطين اليوم، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2015/2/9، ص21. bit.ly/2UqD9yO. التقارير الشهرية، موقع جهاز الأمن العام الإسرائيلي "الشاباك". bit.ly/2RV7qUl

[5] من إعداد الباحثة استناداً للمصادر السابقة.

[6] من إعداد الباحثة استناداً للمصادر السابقة.

والدهس في 3 أعوام بعد تراجعها، وثبات عمليات إطلاق النار في عامين بعد تراجعها، وتراجع عمليات الطعن الناجحة بفارق ما يقارب النصف عن كل عام، وبعد تضاعف محاولات الطعن خلال العامين 2015 و2016 تراجعت بفارق تزايد كل عام، لكن ليس لصالح عدد العمليات الناجحة؛ فالفرق بين عمليات ومحاولات الطعن موجبًا فقط في 2015، بالتالي فإن ثبات عدد العمليات بعد تراجعها لا يشير إلى تغيّر جوهري في مسار الأحداث منذ العام 2015 كما يوضح الشكل أدناه.

أما في العام 2018 فسارت عمليات المقاومة بسلوك موجي تجلى بين زيادة عدد مرات إطلاق النار، والعبوات البدائية الناسفة والزجاجات الحارقة، وتراجع عدد مرات الطعن، ومحاولات الطعن والدهس. ويعزا التوجه إلى عمليات إطلاق النار للاحتياطات الأمنية، كالملابس الواقية للجنود والسواتر الإسمنتية والحديدية على الطرقات، التي تقلل من فرص نجاح عمليات الطعن والدهس، إضافة إلى نجاح معظم منفذي عمليات إطلاق النار في الإفلات من قبضة الاحتلال لحظة وقوع العملية مقارنة بعمليتي الطعن والدهس، فضلًا عن تفوق إطلاق النار في حصد القتلى. كما يعزا ارتفاع عدد مرات إطلاق الزجاجات والطائرات الورقية الحارقة لفعاليات مسيرة العودة على حدود غزة.

[7]

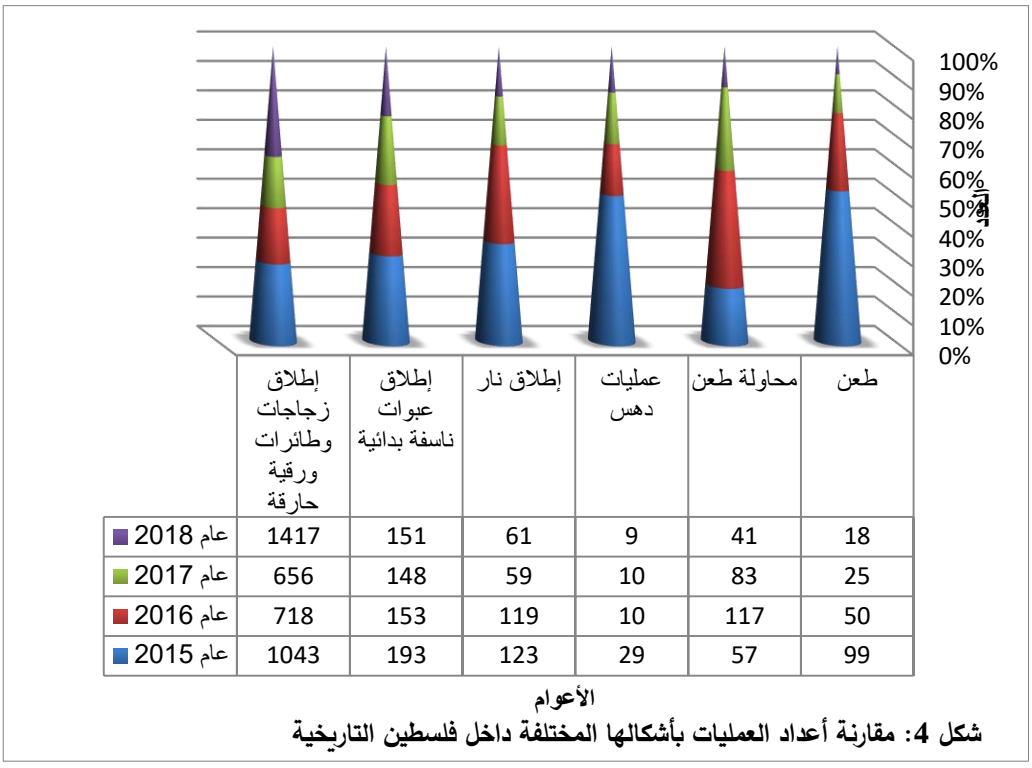

	إطلاق زجاجات وطائرات ورقية حارقة	إطلاق عبوات ناسفة بدائية	إطلاق نار	عمليات دهس	محاولة طعن	طعن
عام 2018	1417	151	61	9	41	18
عام 2017	656	148	59	10	83	25
عام 2016	718	153	119	10	117	50
عام 2015	1043	193	123	29	57	99

الأعوام

شكل 4: مقارنة أعداد العمليات بأشكالها المختلفة داخل فلسطين التاريخية

[7] من إعداد الباحثة استناداً للمصادر السابقة.

توزعت المواجهات والعمليات مع الاحتلال على مدار شهور العامين 2017 و2018، بتفاوت في حدتها من شهر لآخر تبعًا لمعطيات الأحداث؛ فقد شهد العام 2017 10 عمليات نوعية سببت قتلى، في حين شهد العام 2018 11 عملية.

[8]

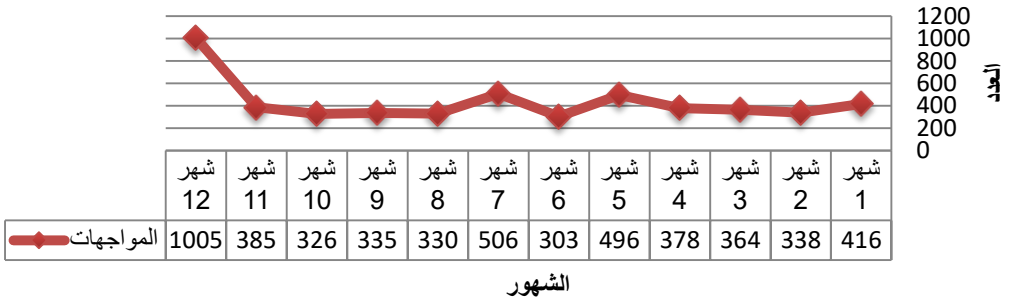

شكل 5: مقارنة المواجهات مع الاحتلال خلال شهور 2017 داخل فلسطين التاريخية

[9]

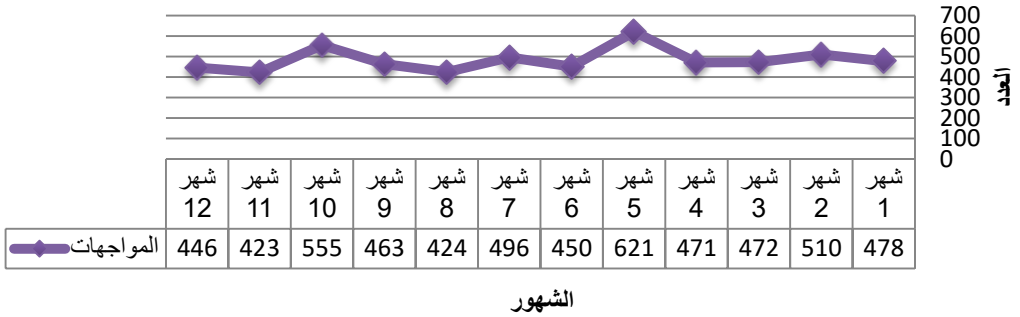

شكل 6: مقارنة المواجهات مع الاحتلال خلال شهور 2018 داخل فلسطين التاريخية

ازدادت المواجهات والعمليات في العام 2018 عن العام 2017، وشهدت شهور كانون الثاني وتموز وكانون الأول 2017 عمليات ومواجهات أكثر، مقابل عمليات أقل في حزيران وتشرين الأول. وقد سجل كانون الأول 2017 ذروة الأحداث عشية قرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة إليها.

أما في العام 2018، فشهدت شهور تموز وتشربن الأول والثاني عمليات أكثر، مقابل عمليات أقل في حزيران وأيلول؛ مما يشير إلى أن استجابة الجمهور الفلسطيني لتعزيز ميدان أعمال المقاومة عقب العمليات والأحداث والقرارات المستفزة لمشاعرهم حاضرة في جميع الأشهر، تارة

[8] من إعداد الباحثة استناداً للمصادر السابقة.

[9] من إعداد الباحثة استناداً للمصادر السابقة.

تتصاعد وتارة تتراجع، في حين تراجع العمل الفردي وتقدم العمل الجماعي المقاوم في رمضان 2018 وفترة الحراك المناهض لقانون الضمان الاجتماعي؛ مما قد يدل على أثر الدافع الديني وتردي الوضع الاقتصادي باتجاه الإجماع على التصعيد، وفيه إشارة لنجاح الحراكات الجماعية الموجهة ضد الاحتلال.

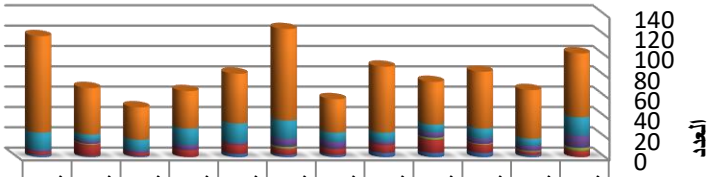

	شهر 12	شهر 11	شهر 10	شهر 9	شهر 8	شهر 7	شهر 6	شهر 5	شهر 4	شهر 3	شهر 2	شهر 1
إطلاق زجاجات ومفرقعات وطائرات ورقية حارقة	95	46	32	37	49	90	33	65	42	56	48	63
إطلاق عبوات ناسفة بدائية	17	6	11	16	19	18	9	9	8	10	7	18
إطلاق نار	2	3	2	5	2	8	7	3	5	5	5	12
عمليات دهس	0	1	0	0	0	2	0	0	2	1	1	3
محاولة طعن	3	11	3	7	9	6	6	8	13	8	3	6
طعن	2	1	1	0	3	2	2	4	4	4	2	0

الشهور

شكل 7: مقارنة أعداد العمليات النوعية خلال شهور 2017 داخل فلسطين التاريخية

[10]

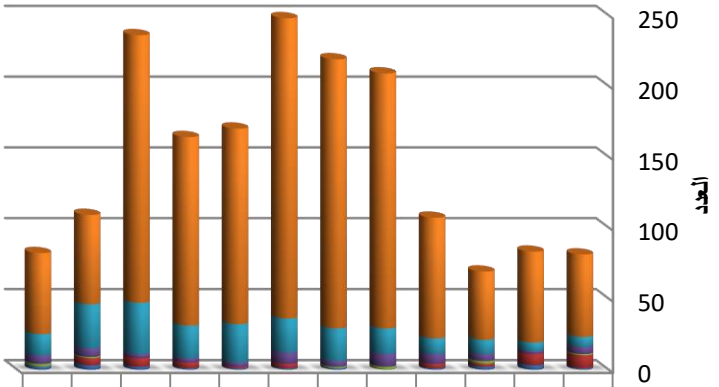

	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
إطلاق زجاجات ومفرقعات وطائرات حارقة	57	63	189	133	138	212	190	180	85	48	64	58
إطلاق عبوات ناسفة بدائية	15	31	36	23	27	24	23	18	11	10	6	7
إطلاق نار	6	6	3	3	3	8	4	9	7	5	2	5
عمليات دهس	2	1	0	0	0	0	1	2	0	2	0	1
محاولة طعن	0	5	6	4	1	3	0	0	3	2	8	9
طعن	2	3	2	1	1	1	1	0	1	2	3	1

الشهور

شكل 8: مقارنة أعداد العمليات النوعية خلال شهور 2018 داخل فلسطين التاريخية

[11]

[10] من إعداد الباحثة استناداً للمصادر السابقة.

[11] من إعداد الباحثة استناداً للمصادر السابقة.

عند مقارنة العمليات النوعية وأثر القرارات/الأحداث خلال شهور العامين 2017 و2018، يتضح تصاعد وتيرة المواجهات والعمليات بنسبة أكبر بعد شهر من العملية النوعية والقرار/الحدث خلال 2017، ومناصفة الأشهر بين تصاعد وتراجع المواجهات بعد العمليات النوعية خلال 2018، فيما كانت أعمال المقاومة بعد العمليات النوعية والقرار/الحدث أكثر من الشهر التالي. وهذا يشير إلى أن العام 2018 كان أقرب لردة الفعل الشعبية اللحظية. كما أن تواصل المقاومة على مدى شهور العام يؤكد قيادة كل عمل مقاوم لغيره على المدى القصير أو البعيد؛ مما ينعكس سلبًا على الاحتلال، لأن مواجهة تداعيات اليوم التالي أحيانًا تكون أكثر تعقيدًا من إدارة العملية ذاتها.

العلاقة لنفس الشهر	نوعية × مواجهات	قرار × مواجهات	نوعية × عمليات	قرار × عمليات
	القرارات والأحداث = 4		العمليات النوعية = 10	
علاقة طردية	6	2	4	2
علاقة عكسية	4	2	6	2
النسبة من المجموع	60%:40%	50%:50%	40%:60%	50%:50%
العلاقة للشهر التالي	نوعية × مواجهات	قرار × مواجهات	نوعية × عمليات	قرار × عمليات
	القرارات والأحداث = 4		العمليات النوعية = 10	
علاقة طردية	7	3	5	3
علاقة عكسية	3	1	5	1
النسبة من المجموع	70%:30%	75%:25%	50%:50%	75%:25%

[12]

جدول (2): مقارنة العمليات النوعية والقرارات المستفزة للفلسطينيين لكل شهر 2017 بتطور أو تراجع المواجهات والعمليات عن الشهر السابق

الشهر	الاحداث	المواجهات	مجموع العمليات
1	عملية نوعية (دهس)	↑	↑
2	قرار مستفز (قرار منع الأذان) وعملية نوعية (طعن)	↓	↓
3	عملية نوعية (اشتباك مسلح)	↑	↑
4	عمليتان نوعيتان (طعن ودهس)	↑	↓
5	حدث مستفز (ارتداء وزيرة الثقافة الاسرائيلية فستان بصورة القدس)	↑	↑
6	عملية نوعية (إطلاق نار وطعن)	↓	↓
7	عمليتان نوعيتان (إطلاق نار وطعن)	↑	↑
8	ثلاث عمليات نوعية (طعن)	↓	↓
9	عملية نوعية (إطلاق نار)	↑	↓
10	قرار مستفز (بناء وحدات استيطانية بالخليل للمرة الأولى منذ عام 2000 وعملية نوعية (إطلاق نار)	↓	↓
11	عملية نوعية (طعن)	↑	↑
12	قرار مستفز (اعتراف ترامب بالقدس عاصمة لـ "اسرائيل" وعزمه نقل السفارة الأمريكية للقدس)	↑	↑

تصاعد = ↑ تراجع = ↓ ثبات = ↔

[13]

جدول (3): مقارنة العمليات النوعية والقرارات المستفزة للفلسطينيين لكل شهر 2018 بتطور أو تراجع المواجهات والعمليات عن الشهر السابق

الشهر	الاحداث	المواجهات	مجموع العمليات
1	عملية نوعية (إطلاق نار)	↓	↑
2	عملية نوعية (طعن)	↑	↓
3	عمليتان نوعيتان (طعن ودهس)	↓	↑
4	مسيرات شعبية	↓	↓
5	حدث مستفز (استشهاد 59 متظاهر سلمي في غزة) وعملية نوعية (ضرب حجر)	↓	↑
6	حدث مستفز (استشهاد المسعفة رزان النجار)	↓	↑
7	عمليتان نوعيتان (إطلاق نار وطعن) وقرار مستفز (قانون القومية اليهودي)	↑	↑
8	انعقاد المجلس المركزي لمنظمة التحرير وسط مقاطعة أغلب الفصائل	↓	↓
9	حدث مستفز (واشنطن تقرر وقف تمويل "الأونروا") وعملية نوعية (طعن)	↑	↑
10	حدث اقتصادي مستفز (سن قانون الضمان وتشكيل حراك لمناهضته)	↑	↑
11	عملية نوعية (إطلاق نار) وحدث مستفز (تسلل قوة خاصة اسرائيلية لخانيونس في خانيونس)	↓	↑
12	عمليتان نوعيتان (إطلاق نار)	↑	↑

تصاعد = ↑ تراجع = ↓ ثبات = ↔

[12] من إعداد الباحثة استنادا للمصدرين: خالد ابو عامر، فلسطين 2017 .. زخم سياسي بلا ادنى نتائج، عربي21، 30/12/2017. bit.ly/2FpS4nz

واليوميات الفلسطينية لسنة 2017، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. bit.ly/2WigF3x

[13] من إعداد الباحثة استناداً إلى: أرشيف نشرة فلسطين اليوم، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، وحصاد عام 2018 السياسي .. مقاومة وعقوبات، شبكة قدس الإخبارية، 31/12/2018. bit.ly/2UMGA2X bit.ly/2JLaBPI

العلاقة لنفس الشهر	نوعية × مواجهات	قرار × مواجهات	نوعية × عمليات	قرار × عمليات
	القرارات والأحداث = 5		العمليات النوعية = 11	
علاقة طردية	4	2	7	5
علاقة عكسية	4	3	1	0
النسبة من المجموع	50%:50%	40%:60%	87.5%:12.5%	100%:0
العلاقة للشهر التالي	نوعية × مواجهات	قرار × مواجهات	نوعية × عمليات	قرار × عمليات
	القرارات والأحداث = 5		العمليات النوعية = 11	
علاقة طردية	4	3	5	4
علاقة عكسية	4	2	3	1
النسبة من المجموع	50%:50%	60%:40%	62.5%:37.5%	80%:20%

أما على صعيد محافظات الضفة، فجلّها نالت نصيبها من أعمال المقاومة لكن بتفاوت، فخلال 2017 كانت رام الله والبيرة، وبيت لحم، والخليل، وضواحي القدس الأكثر نشاطًا. أما خلال 2018، فلوحظ تفوق لرام الله والبيرة، وبروز لقلقيلية وغزة عن العام 2017، وثبات للخليل وطولكرم.

[14]

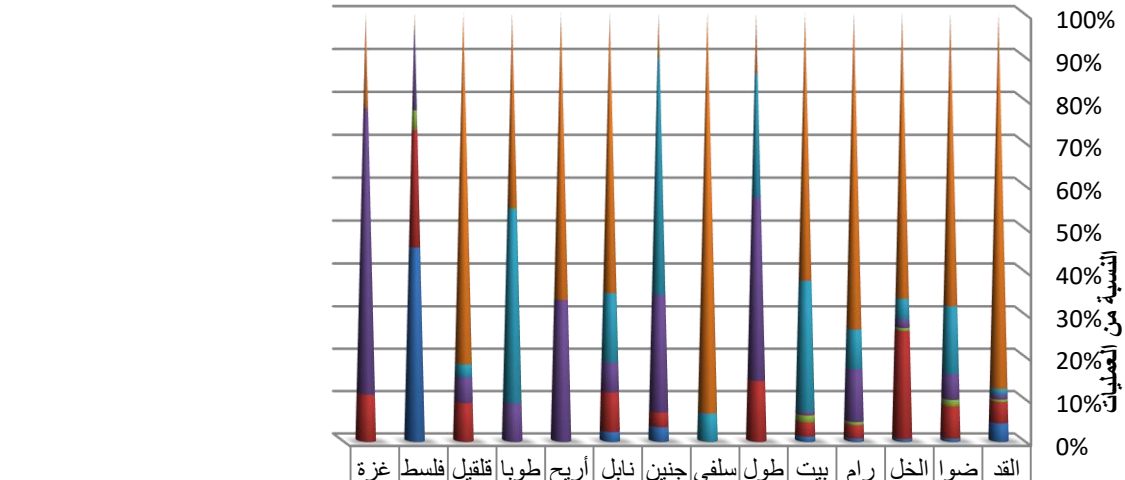

	غزة	فلسطين المحتلة	قلقيلية	طوباس	أريحا	نابلس	جنين	سلفيت	طولكرم	بيت لحم	رام الله	الخليل	ضواحي القدس	القدس
إطلاق زجاجات ومفرقعات وطائرات حارقة	2	1	27	5	2	28	3	14	1	150	95	97	90	141
إطلاق عبوات ناسفة بدائية	0	0	1	5	0	7	16	1	2	74	12	7	21	2
إطلاق نار	6	4	2	1	1	3	8	0	3	2	16	3	8	2
عمليات دهس	0	1	0	0	0	0	0	0	0	4	1	1	2	1
محاولة طعن	1	6	3	0	0	4	1	0	1	8	4	37	10	8
طعن	0	10	0	0	0	1	1	0	0	3	1	1	1	7

المدن

شكل 9: مقارنة أعداد ونسب العمليات النوعية في المدن الفلسطينية خلال العام 2017

[14] من إعداد الباحثة استناداً لمصادر سابقة.

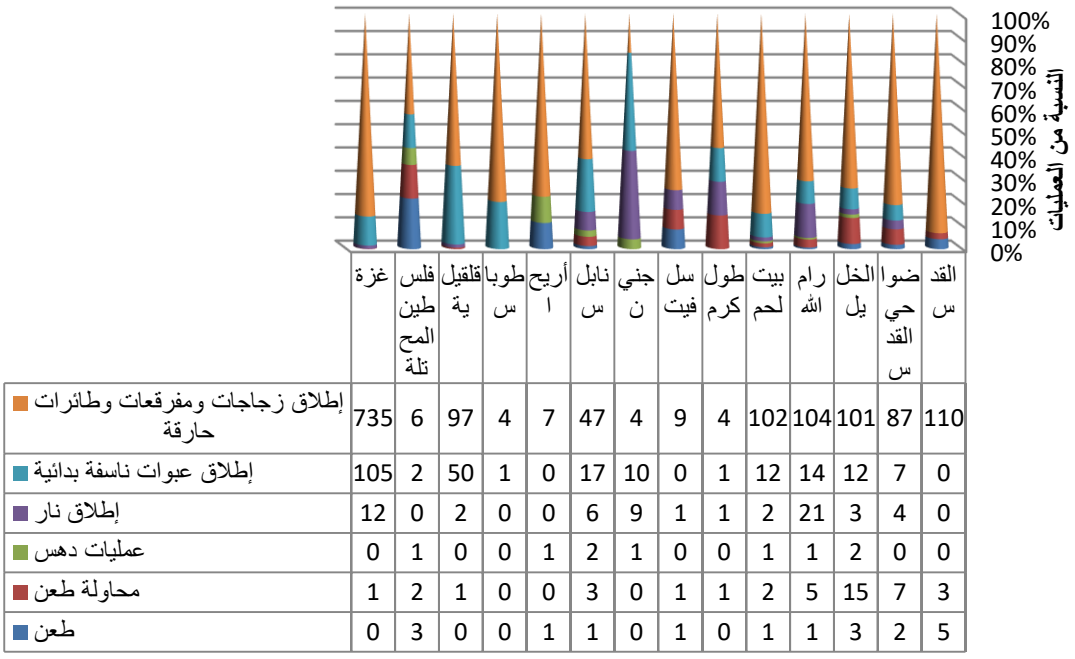

	غزة	فلسطين المحتلة	قلقيلية	طوباس	أريحا	نابلس	جنين	سلفيت	طولكرم	بيت لحم	رام الله	الخليل	ضواحي القدس	القدس
إطلاق زجاجات ومفرقعات وطائرات حارقة	735	6	97	4	7	47	4	9	4	102	104	101	87	110
إطلاق عبوات ناسفة بدائية	105	2	50	1	0	17	10	0	1	12	14	12	7	0
إطلاق نار	12	0	2	0	0	6	9	1	1	2	21	3	4	0
عمليات دهس	0	1	0	0	1	2	1	0	0	1	1	2	0	0
محاولة طعن	1	2	1	0	0	3	0	1	1	2	5	15	7	3
طعن	0	3	0	0	1	1	0	1	0	1	1	3	2	5

المدن

شكل 10: مقارنة أعداد ونسب العمليات النوعية في المدن الفلسطينية خلال العام 2018

[15]

يبين الشكل أدناه نتائج انتهاكات الاحتلال وأعمال المقاومة، ويعزا الفرق الواسع بينهما إلى عدم التكافؤ في امتلاك أدوات القوة لدى الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي.

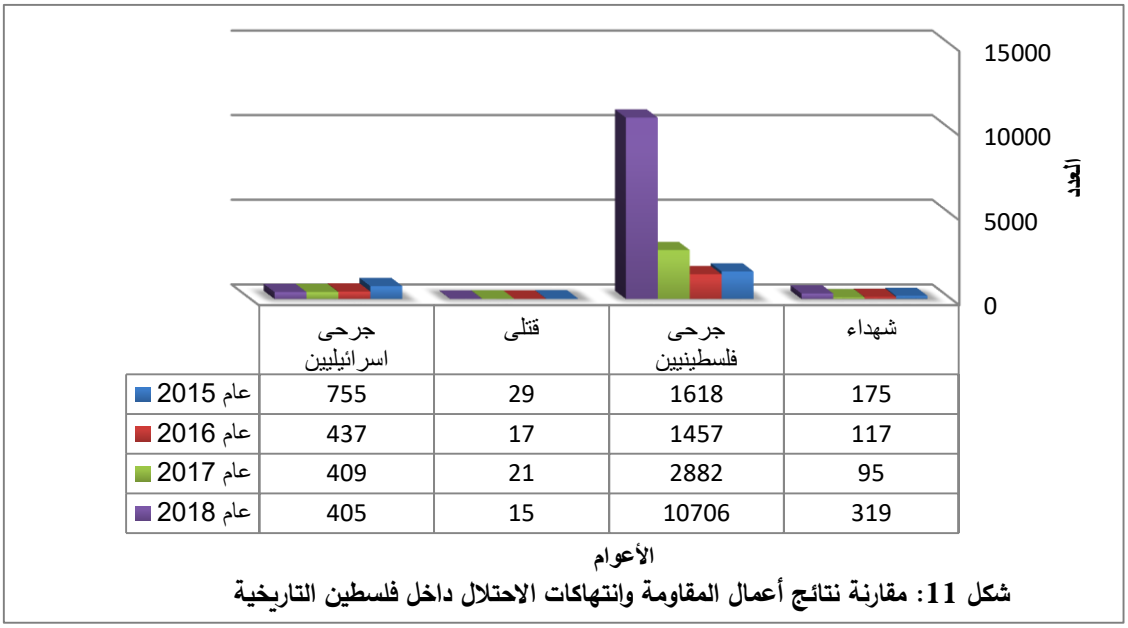

	جرحى اسرائيليين	قتلى	جرحى فلسطينيين	شهداء
عام 2015	755	29	1618	175
عام 2016	437	17	1457	117
عام 2017	409	21	2882	95
عام 2018	405	15	10706	319

الأعوام

شكل 11: مقارنة نتائج أعمال المقاومة وانتهاكات الاحتلال داخل فلسطين التاريخية

[16]

[15] من إعداد الباحثة استناداً لمصادر سابقة.

[16] من إعداد الباحثة استناداً لمصادر سابقة.

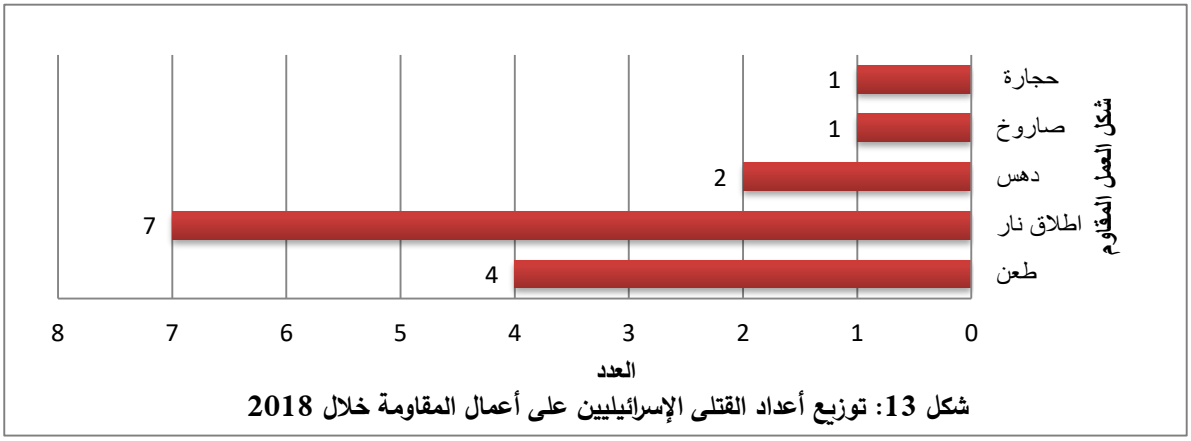

17

شكل 13: توزيع أعداد القتلى الإسرائيليين على أعمال المقاومة خلال 2018

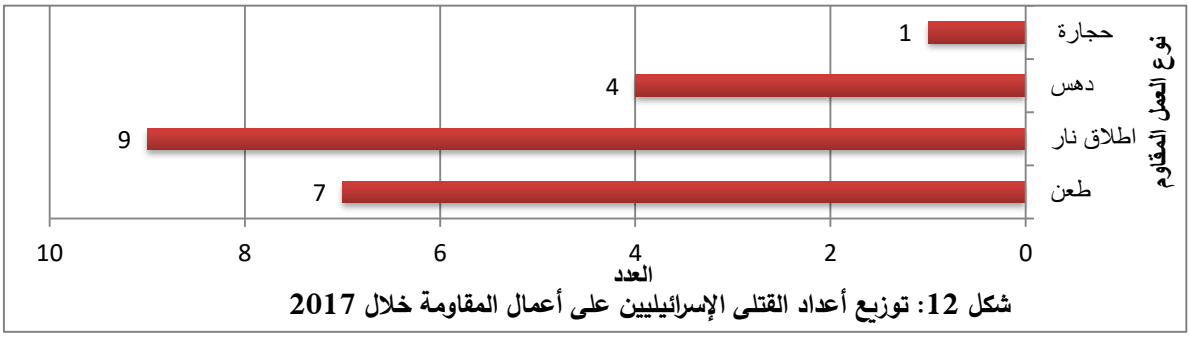

18

شكل 12: توزيع أعداد القتلى الإسرائيليين على أعمال المقاومة خلال 2017

ويلاحظ في الأشكال أعلاه تراجع عدد القتلى والجرحى الإسرائيليين، وذلك يعود إلى:

- التراجع في عدد العمليات بشكل عام قلل من فرصة الزيادة في عدد القتلى، فلوحظ حصاد أعلى لعمليات إطلاق النار، وحصاد أقل لعدد عمليات الطعن والدهس.
- توزيع القتلى على العمليات: فنسبة قتلى إطلاق النار لعدد عمليات إطلاق النار للعام 2018 أكبر من 2017، وقد يرجع لعدد العمليات الناجحة في 2018، لكن عدد عمليات الطعن الناجحة في العامين متساوية ونسبة القتلى لعدد العمليات في 2017 كانت أكبر، وفي عمليات الدهس كان العدد أكبر في 2017 ونسبة القتلى لعدد العمليات متساوية مع العام 2018، إذ ليس شرطًا أن تكون العلاقة طردية بين عدد العمليات وحصيلة نتائجها، وليس شرطًا أن تكون أفضل من غيرها بحصيلة نتائجها.
- عدد المستهدفين يلعب دورًا: فإن أطلق مقاوم النار تجاه 3 جنود فهناك احتمال أن يقتلوا جميعًا أو أن ينجوا جميعًا أو أن يقتل ثلثهم أو ثلثيهم، كذلك الحال إن كان إطلاق النار تجاه

[17] من إعداد الباحثة استناداً لمصادر سابقة.

[18] من إعداد الباحثة استناداً لمصادر سابقة.

4 أو ... إلخ، وبالتالي، فإن وجود عدد أكبر للمستهدفين في ظل عدد مسلحين أقل لحظة إطلاق النار يلعب دورًا في زيادة القتلى، وهذا يعتمد على مدى مراقبة المقاوم للمكان المستهدف واختياره للحظة المناسبة. وطالما أن عمليات إطلاق النار تزايد عددها وعدد قتلاها خلال 2018 فذلك يشير إلى تطور نوعي.

تُظهر الإحصائيات المطروحة توازي المقاومة مع الظروف، وتوجه المقاومين نحو التصاعد النوعي المرتكز على حسن الأداء والأثر، بالإضافة إلى اكتساب العمليات سمات زمنية وأمنية مميزة. فأما الزمنية، فقد اتسعت رقعة المواجهات وسُجلت العمليات في كافة شهور 2018؛ مما ينم عن أهمية بقاء الميدان مشتعلًا، ولو بدرجات متفاوتة، بالإضافة لتزامن بعض العمليات مع الأزمة السياسية الداخلية الإسرائيلية التي نشبت إزاء الهزيمة في وجه المقاومة بالتصعيد على قطاع غزة (تشرين الثاني 2018)، ونزع هيبة الردع من الاحتلال، وهذا صب لصالح إنهاك الحكومة الإسرائيلية في تعدد جبهات المواجهة. و

وأما الأمنية، فتزايدت صعوبة التنبؤ بالعمليات والكشف عنها لتحول المعدات إلى أسلحة، كالسيارات والمفكات والسكاكين، وعدم وجود علاقة بين معظم منفّذي العمليات، وعدم وجود صلة مباشرة بين معظم المنفذين بالفصائل الفلسطينية، إضافة إلى الاستفادة من التجربة السابقة وتقليد الناجح منها، وسهولة تنفيذ بعض العمليات كالدهس التي لا تحتاج إعدادًا مسبقًا، فضلًا عن اختيار خلايا المقاومة أهدافًا حساسة بدقة وتنفيذها لخططها بعناية – ناتجة عن تدريب جيد– بالتوقيت المناسب، حيث حدثت إحدى العمليات في وضح النهار وفي ذروة استنفار الجيش بترجل من مسافة صفر، وأخريات حدثن في مواقع إستراتيجية مهمة في اختراق للمؤسسة الأمنية الإسرائيلية التي تشتتت إثر التوزيع الجغرافي للعمليات الدّال على استعداد المقاومين بكافة المواقع.[19] كما نجحت الخلايا في تأمين المنفذين، وهذا ما أثبته تنامي عودة ظاهرة المطاردين.

[19] Two Israeli Soldiers Killed, Two Seriously Wounded in West Bank Shooting, Haaretz newspaper, 13/12/2018. bit.ly/2QNM52x

تنامي عودة ظاهرة المطاردين

"المطاردون": "ظاهرة من ظواهر المقاومة الفلسطينية، تشكلت عبر مراحل مختلفة منذ الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة في العام 1967، وأصبحت خلالها كهوف الضفة وغابات شجر الصنوبر ملاذًا للمطاردين، لكن بمرور السنين، ضاقت الأرض المحتلة بهم، بعد أن اكتسب الاحتلال خبرة بوسائل المقاومة وزرع عددًا كبيرًا من العملاء في المناطق".[20]

عادت الظاهرة لتتنامى بالضفة، مشيرة للإيمان بالنجاة والرغبة فيها، والتطور في اختيار المكان والزمان المناسبين، والتخطيط الجيد لكيفية التصرف لما بعد الانسحاب. كما يعدّ المطارد في عين الفلسطيني بطلًا ونموذجًا يحتذى به، وهذا ساهم في في الاقتداء بهم ورفع نسبة المطاردين خلال 2018، لكن الاغتيال كان المحطة الأخيرة في حياة معظم المطاردين وسط دوافع تصاعد المقاومة وتحدياتها.

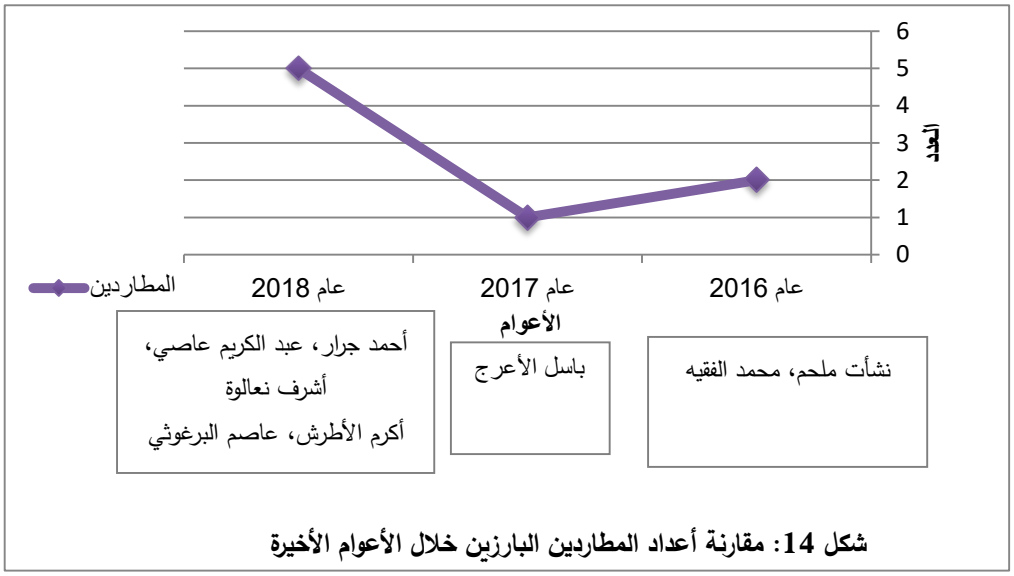

شكل 14: مقارنة أعداد المطاردين البارزين خلال الأعوام الأخيرة

دوافع التصاعد

مرّ العام 2018 بمحطات سياسية ومتغيرات عدة على كافة الأصعدة خيمت على الساحة الفلسطينية، مما ساهم، بجانب الدافع الأيديولوجي، في تغذية صنع الفعل، أي المبادرة، وتصاعد ردة الفعل الفتيّة والشبابية الفلسطينية. وفي صنع الفعل، صرّحت كتائب القسام عقب عملية نوعية: "مقاومتنا ستظل حاضرة على امتداد خارطة الوطن، ولا يزال في جعبتنا الكثير مما يسوء

[20] عبدالله عيسى، عالم المطاردين، صحيفة دنيا الوطن، 2003/10/19. bit.ly/2Dyb69c

العدو ويربك كل حساباته"[21]، مشيرة إلى المبادرة بالضفة التي تجاوزت رد الفعل على العوامل الموزعة كالآتي:

أولًا: على الصعيد الإسرائيلي

تبلور عن الحكومة اليمينية (2015–2018) تطرف متصاعد تغلغل في عمق الجمهور ومؤسسة الدولة مؤديًا لقفزات في حجم الانتهاكات (الموضحة إحصاءاتها في المحور السابق) تجاه الأرض الفلسطينية ومقدساتها وسكانها التي بلغت 4318 انتهاكًا، ما يعادل 11 انتهاكًا يوميًا على مدار العام[22]، جميعها غُلّفت بمظلة قوانين عنصرية سنتها الحكومة خلال ذات العام، كالمصادقة بالقراءة الأولى على مشروع قانون الولاء بالثقافة للاحتلال، وشرعنة سحب الإقامة الدائمة والهوية المقدسية من مخالفي شروطه في سبيل أسرلة القدس، وتجميد قيمة مخصصات الأسرى وذوي الشهداء من ميزانية الضرائب التي يحولها الاحتلال للسلطة الفلسطينية، وقانون وقف الإفراج المبكر عن الأسرى بعد انتهاء ثلثي المدة، وشرعنة احتجاز جثامين الشهداء من دون سبب. أما الذين نفذوا عمليات فدائية تسببت بمقتل إسرائيليين فاتفق على إعدامهم.[23]

كما سنّ الكنيست قانون القومية اليهودية مكللًا شرعنة الإجراءات والسياسات الاستيطانية والعنصرية قانونيًا[24]، وهذا هو الطريق نحو استفراد الاحتلال بالضفة الغربية بذريعة "التعايش".

---

[21] بيان عسكري، موقع كتائب الشهيد عز الدين القسام، 2018/12/13. bit.ly/2SsBn3g

[22] مركز القدس يصدر إحصائياته للعام 2018، مركز القدس لدراسات الشأن الإسرائيلي والفلسطيني، 2018/12/31. bit.ly/2RX9T0r

[23] نتنياهو يعطي الضوء الأخضر لإقرار قانون إعدام منفذي العمليات الفدائية، قدس برس، 2018/11/5. bit.ly/2BCohWG

[24] اللجنة المشتركة للجنة الكنيست ولجنة الدستور والقانون والقضاء تصادق بالقراءتين الثانية والثالثة على قانون القومية، موقع الكنيست، 2018/7/18. bit.ly/2RZUaOa

ثانيًا: على الصعيد الفلسطيني الداخلي

سياسيًا:

- أدى تدهور العلاقات بين الطرفين المتنازعين حركة التحرير الوطني (فتح) وحركة المقاومة الإسلامية (حماس) إلى تعقيد ملف المصالحة الذي انفتحت أبوابه في مصر مؤقتًا في تشرين الأول 2017. وعلّق عليه المجلس الوزاري الأمني الإسرائيلي رفيع المستوى (الكابينت) بأن "الحكومة لن تجري محادثات سلام مع السلطة الفلسطينية في أعقاب اتفاق المصالحة الذي تم التوصل إليه مع حركة "حماس" ما لم تنبذ الأخيرة الإرهاب وتعترف بالدولة اليهودية".[25]

وهذا يشير إلى إمكانية تحقيق المصالحة فقط في حالتين: إما بتوحيد السلاح في إطار برنامج سياسي مقاوم يتحدى الاحتلال، أو بتسليم سلاح "حماس" واعترافها بالدولة اليهودية، ثم مشاركتها في إدارة الضفة الغربية، ما يؤدي إلى استنساخ الظروف الأمنية المخترقة بالضفة الغربية إلى قطاع غزة.

- تعزز انسداد الأفق السياسي إثر بقاء القضية الفلسطينية في متاهات التسوية السلمية المبنية على قاعدة اتفاقيات أوسلو، التي وظفها الاحتلال لتنفيذ برنامج ممنهج وشامل لتهويد الضفة الغربية، وصنع حقائق على الأرض (المستوطنات والجدار العازل)، بحيث يستحيل إنشاء دولة فلسطينية مكتملة العناصر، إلا أن السلطة الفلسطينية ما زالت متمسكة بخطاب التسوية؛ فقد وردت كلمة "سلام" في خطابات الرئيس عباس الـ 15 خلال العام 2018 65 مرة، إضافة إلى خيار حل الدولتين دون ارتكاز على إستراتيجية التطور لدولة فلسطينية مستقلة وكاملة السيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة.[26]
- ظهور سلوك السلطة غير الداعم للمقاومة، إذ يبين الشكل أدناه تصدر العام 2015 للاعتقالات السياسية بالضفة الغربية، علمًا أنه عام ذروة المقاومة، تلاه العام 2018 الذي شهد تصاعدًا في أعمال المقاومة.

---

[25] الحكومة الإسرائيلية تعلن امتناعها عن إجراء محادثات السلام بعد اتفاق المصالحة بين فتح وحماس، موقع تايمز أوف إسرائيل، 2017/10/17. bit.ly/2uxVKgV

[26] خطابات الرئيس محمود عباس 2018، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، 2018/12/31، bit.ly/2Hqw7Gp

قد يكون الاعتقال السياسي لعمل نقابي، أو لأسير محرر، أو لإساءة للسلطة لفظيًا أو فعلًا، أو لعمل مقاوم، أو لمجابهة الطرف الآخر في غزة إن أجرى اعتقالات سياسية، بالتالي العلاقة الطردية الملحوظة تشير إلى مأزق السلطة بتواصل وفائها تجاه اتفاقية أوسلو التي أكسبت السلطة دورًا وظيفيًا في حفظ أمن المستوطنين.

وعلى الرغم من إعلان الرئيس محمود عباس عن وقف التنسيق الأمني في محطات عدة بسبب البوابات الإلكترونية التي نصبها الاحتلال بالأقصى في تموز 2017، وإعلان "ترامب" بشأن القدس في كانون الأول 2017، وخلال جلسات المجلس الوطني، إلا أن الاعتقالات السياسية تزايدت، والتصريحات واللقاءات مع الإسرائيليين أثبتت سريان التنسيق الأمني.[27]

يضاف إلى ذلك إصدار الرئيس لتصريحات تناهض العمليات، مثل: "ضبطنا 90% من أموال وسلاح "حماس" بالضفة الغربية، ونفذ 10% هي التي استخدمت في العمليات الأخيرة ... "حماس" ترسل لنا قتلة بالضفة، ونتنياهو يسمح بوصول الأموال لها لتستخدمها في تنفيذ عمليات ضد إسرائيليين ونحن لن نسمح بذلك"[28]، رغم التصريحات الحكومية المنددة بجرائم الاحتلال، وطرق باب المجتمع الدولي حول ذلك ولو كان لفظيًا فقط.

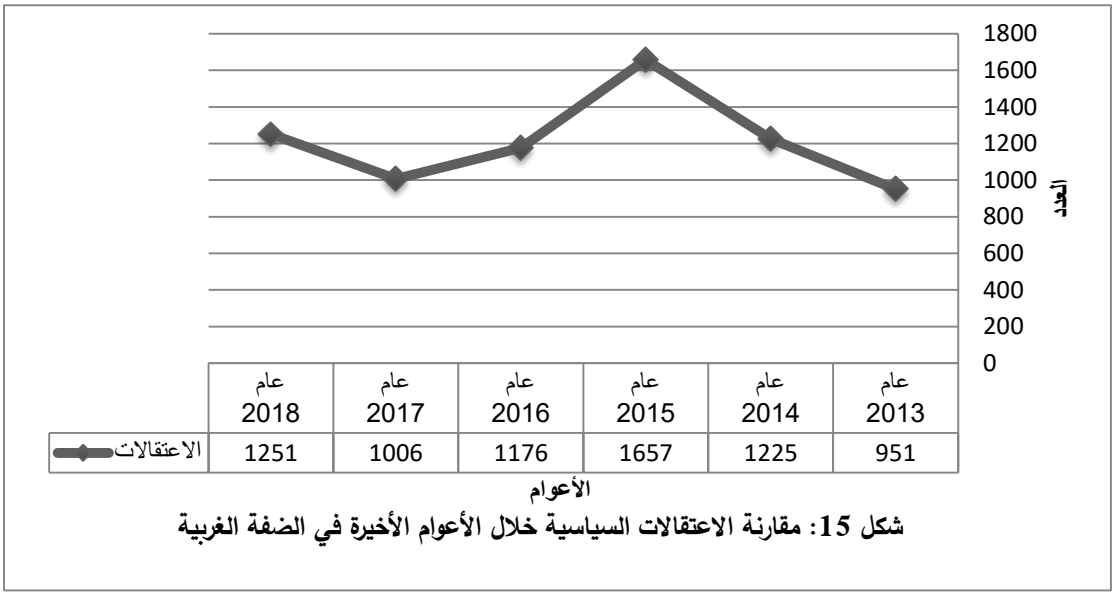

شكل 15: مقارنة الاعتقالات السياسية خلال الأعوام الأخيرة في الضفة الغربية

[27] التقى رئيس الشاباك مع عباس وسمع الشكاوى، هيئة الإذاعة الإسرائيلية (مكان)، 2018/10/23، bit.ly/2TO4IBG

[28] اتهم حماس بإرسال "قتلة" للضفة .. عباس: "الدستورية" قررت حل "التشريعي"، وكالة الصحافة الفلسطينية (صفا)، 2018/12/22. bit.ly/2E5bVaX

اقتصاديًا:

خلفت العجلة الاقتصادية المقيدة باستحقاقات بروتوكول باريس واقعًا معيشيًا يشهد ترديًا في كل عام، فقد سجّل العام 2018 تزايدًا في نسب البطالة، إلى جانب العقوبات الفلسطينية الاقتصادية على غزة، فضلًا عن حرمان الطرف الإسرائيلي السلطة الفلسطينية من ضرائبها كأداة ضغط وابتزاز سياسي وأمني واقتصادي، وخضوع الاقتصاد الفلسطيني للدول المانحة ذات الأجندة المرتبطة بالتسوية السلمية والمعادية لقوى المقاومة.[29]

شعبيًا:

لم يقف الشارع مكتوف الأيدي حيال ما يجري، خاصة مع إعدام الشباب والفتيات أمام الكاميرات، فتولد دافع الانتقام بالالتفاف حول المقاومة، وذلك بالمساندة الميدانية، من خلال تنفيذ عمليات فدائية، ومواجهة الاحتلال، واحتضان المطاردين ومنحهم مظلة الأمان، واستثمار الحملات الشبابية كحملة تعطيل كاميرات المراقبة، والمساندة الإلكترونية اللحظية على صفحات التواصل الاجتماعي، ومقاطعة المقدسيين للانتخابات البلدية ومحاربة دمجهم بالمؤسسات الاحتلالية.[30] وقد أظهر استطلاعات للرأي حول الوسيلة الأنجع لقيام دولة فلسطينية، أن نسبة من يريدون خيار المقاومة المسلحة أكبر من نسبة المقاومة السلمية والمفاوضات في نهاية الأعوام (2015-2018) عن بدايتها، بالتالي تبدأ الأعوام بأمل الجمهور في تحقيق الدولة سلميًا لكن مع التصاعد في انتهاكات الاحتلال الذي يقابله تصاعد في أعمال المقاومة وتعثر مسار التسوية؛ ينزاح الجمهور لخيار المقاومة المسلحة واحتضانها كما في الجدول أدناه.[31]

جدول (4): نتائج استطلاعات رأي حول الوسيلة الأنجع لقيام الدولة الفلسطينية

العام	الشهر	مقاومة مسلحة	مقاومة سلمية	مفاوضات
2015	شهر 3	37%	30%	29%
	شهر 12	46%	23%	26%
2016	شهر 3	42%	24%	29%
	شهر 12	37%	24%	33%
2017	شهر 3	37%	24%	34%
	شهر 12	44%	23%	27%
2018	شهر 3	35%	25%	31%
	شهر 12	44%	23%	28%

[29] الحصاد الاقتصادي 2018: عام صعب يمهد لأصعب في 2019، وكالة وفا، 2018/12/31. bit.ly/2UPnIQq

[30] قلق (إسرائيلي) من الاحتضان الشعبي للمقاومة بالضفة، موقع كتائب القسام، 2018/10/13، bit.ly/2l6xP1x

[31] من إعداد الباحثة استناداً لاستطلاعات المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية. bit.ly/2IZQUD5

ثالثًا: على الصعيد الإقليمي

حينما تطلبت المقاومة غطاءً عربيًا وإسلاميًا، اتسع فارق التفاعل مع القضية الفلسطينية، وارتسمت دائرة التطبيع العربي الإسرائيلي.

كشفت دراسة إسرائيلية ضمن التقرير الإستراتيجي السنوي لمركز أبحاث الأمن القومي في "إسرائيل"، أنه رغم حرص القاهرة و"تل أبيب" على إبقاء التعاون الأمني بينهما خلف الأبواب المؤصدة، إلا أن هناك دلائل على وصول هذا التعاون إلى مستويات "مذهلة" بعد وصول عبد الفتاح السيسي إلى الحكم.[32] وهذا يكمن في الحنكة السياسية للقادة الإسرائيليين، التي تقضي باستغلال فرص التقرب من الدول العظمى والمجتمع الدولي والعربي، وكذلك فإن الكشف المتعمد عن حملات التطبيع يجعله اعتياديًا غير صادم، ويلجم التعاطف الشعبي مع المقاومة.

رابعًا: على الصعيد الأميركي

كان إعلان "ترامب" القدس عاصمة لدولة الاحتلال محركًا لمقاومة الفلسطينيين – كما ظهر في الإحصائيات السابقة – ومؤكدًا فشل رؤية السلطة في المضي قدمًا نحو عملية سلام تحفظ حقوقها، لا سيما قرار وقف تمويل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا)، وتصاعد الدعم الأميركي لحكومة الاحتلال كتضييق مسرح تنظيمات المقاومة عبر نزع شرعيتها قانونيًا بضمها لقوائم الإرهاب، وتعبويًا من خلال التغلغل في المنظومة المعرفية والعاطفية لدى الشارع العربي.

خامسًا: على الصعيد الزمني

- يستفيد الاحتلال من مرور أكبر مدة زمنية ممكنة على استمرار هشاشة الجسم الفلسطيني السياسي، ورخاوة البيئة العربية، والصداقة الخصبة مع "ترامب" الذي جاء إعلانه للقدس عاصمة لـ "اسرائيل" بتاريخ 6 كانون الأول 2017، أي في ذكرى دخول القائد البريطاني "اللنبي" القدس

[32] Strategic Survey for Israel 2017-2018, The Institute for National Security Studies (INSS), page 102. bit.ly/2OhAN2P

وإخراج القوات العثمانية في العام 1917[33]، وفيه إشارة لقراءة زمنية جيدة ولانسجام مع الحركة المسيحية الصهيونية التي تربط ظهور المسيح المنتظر بقيام دولة "إسرائيل".

- مع مرور الزمن، بلغ عدد الفلسطينيين داخل حدود 1967 4 ملايين و780 ألفًا، إضافة إلى 1.5 مليون داخل الخط الأخضر، بزيادة مليون فلسطيني خلال السنوات العشر الأخيرة، وهي أرقام تفزع الاحتلال الذي يدعو ليهودية الدولة[34]، والذي يستغل أكثر من 85 في المائة من مساحة فلسطين التاريخية.[35]

وفي ذات السياق، قال نفتالي بينت، وزير التعليم الإسرائيلي، "رؤيتنا هي مليون شخص في يهودا والسامرة (الضفة الغربية)"[36]، وحتى تتحقق الرؤية لا بد من أرض وبناء وترحيل، ومثال ذلك مخطط "E1" الذي يكسر الوحدة الجغرافية للضفة، ويربط المستوطنات بالقدس كما يوسع مستوطنة "معاليه أدوميم".[37]

وهذا ما أكده أفيغدور ليبرمان، وزير الأمن الإسرائيلي السابق، بقوله إن "الوتيرة الحالية في السنة الأخيرة لعمليات البناء والتوسع في المستوطنات في الضفة، ليس لها مثيل منذ العام 2000".[38] وبالتالي سيتوجه الاحتلال نحو التهجير المباشر وافتعال الأزمات لتشجيع التهجير، وكسب المزيد من المساحات الفلسطينية، وهذا يتوافق مع لاحريضي الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، إذ أجرى المركز العربي لتطوير الإعلام الاجتماعي في الداخل الفلسطيني دراسة جاء فيها أن كل 46 ثانية ينشر الإسرائيليون تحريضًا ضد العرب والفلسطينيين على الـ

---

[33] أحمد عبد الباسط الرجوب، مائة عام على دخول اللنبي للقدس 1917 وقرار ترامب 2017 القدس عاصمة ابدية لدولة الكيان، صحيفة رأي اليوم، 2017/12/19. bit.ly/2OhPEdC

[34] آخر تعداد فلسطيني والأرقام تفزع إسرائيل، الجزيرة نت، 2018/3/29. bit.ly/2FMfxjg

[35] بيان في الذكرى السنوية الثانية والأربعين ليوم الأرض، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2018/3/29. bit.ly/2TYfl8e

[36] وزير إسرائيلي: نسعى إلى رفع عدد مستوطني الضفة لمليون نسمة، وكالة الأناضول، 2017/8/30. bit.ly/2ULl79g

[37] مخطط E1 وإسقاطاته على حقوق الإنسان في الضفة الغربية، مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة (بتسيلم)، 2012/12/2. bit.ly/2MFsaS9

[38] ليبرمان: وتيرة البناء الاستيطاني الحالية لا مثيل لها منذ العام 2000، جريدة الأيام، 2017/10/19. bit.ly/2TjxoSa

(فيسبوك).[39] في المقابل، أقر الكنيست الإسرائيلي بالقراءة الأولى مشروع (قانون الفيسبوك) الذي ينص على حذف منشورات عبر مواقع التواصل الاجتماعي تحتوي على "تحريض" ضد الاحتلال، إلى جانب اعتقال عشرات الفلسطينيين على ذات السبب.[40]

تداعيات التصاعد

حمل تصاعد المقاومة في طياته تهديدات وعقوبات. أما العقوبات فتتمثل في ردع الفلسطينيين عن تكرار العمليات أو تشجيعها من خلال اتباع سياسة الإعدام، واحتجاز جثامين الشهداء، ودفن بعضهم في مقابر الأرقام، وهدم المنازل، ومصادرة الأملاك، وإبعاد العائلات، وسحب بطاقة الإقامة الدائمة (الهوية المقدسية)، والعقاب الجماعي بنصب الحواجز، وإغلاق نقاط الاحتكاك، والمداهمة والتفتيش والمحاصرة، وتقييد المركبات وتعزيز الحراسة الأمنية. في المقابل حافظت العمليات على زخمها. وأما التهديدات، فعلى الرغم من عدم توصل أعمال المقاومة لاتخاذ الاحتلال قرارات انسحاب مفصلية إلا أنها زعزعت بنيته في عدة مستويات:

ماديًا: استنزفت محاولات الاحتلال الرامية لمواجهة المقاومة موازنته، إذ أنفق الاحتلال على الجبهة العسكرية والاستخبارية البشرية والتكنولوجية في سبيل حفظ الأمن والدفاع عنه ضد من ينوي ويخطط وينفذ عملية أو يواجه الاحتلال، لكن حينما تقع عملية تخلف قتيلًا ومطاردًا فالخسارة تتمثل بالمصاريف التي حضّرت وطورت العسكري نفسيًا وتعبويًا وأكاديميًا ولوجستيًا ثم أجرًا، بالإضافة إلى ما صرفته وما ستصرفه على بديل، وربما بديلين وأكثر لتعزيز الأمن. أما المطارد فسيكلفها فاتورة جديدة كتكلفة مطاردة الشهيد أشرف نعالوة البالغة 15 مليون دولار.[41]

وفي هذا السياق، تربّع الأمن في المرتبة الثانية لموازنة الاحتلال للعام 2019 التي وصلت 479.6 مليار شيكل، مما يزيد عن موازنة العام 2018 بمقدار 4.3%، وبلغت المصروفات الأمنية 86,742,514 مليار شيكل، أي ما يعادل 18% من الموازنة العامة دون أن تشمل

[39] بحث علمي: كل 46 ثانية ينشر الإسرائيليون تحريضاً ضدّ العرب والفلسطينيين على الـ(فيسبوك)، رأي اليوم، 2017/2/7. bit.ly/2Hx2nIH

[40] لجنة وزارية في إسرائيل تصادق على مشروع قانون "فيسبوك"، موقع آي 24 نيوز. bit.ly/2FggPkR

[41] كيف يستنزف المطارد نعالوة دولة الاحتلال، دنيا الوطن، 2018/11/15. bit.ly/2to3HEF

المساعدات الأميركية وموازنات الشاباك والموساد والطاقة النووية، ووزعت كما في الشكل أدناه.[42]

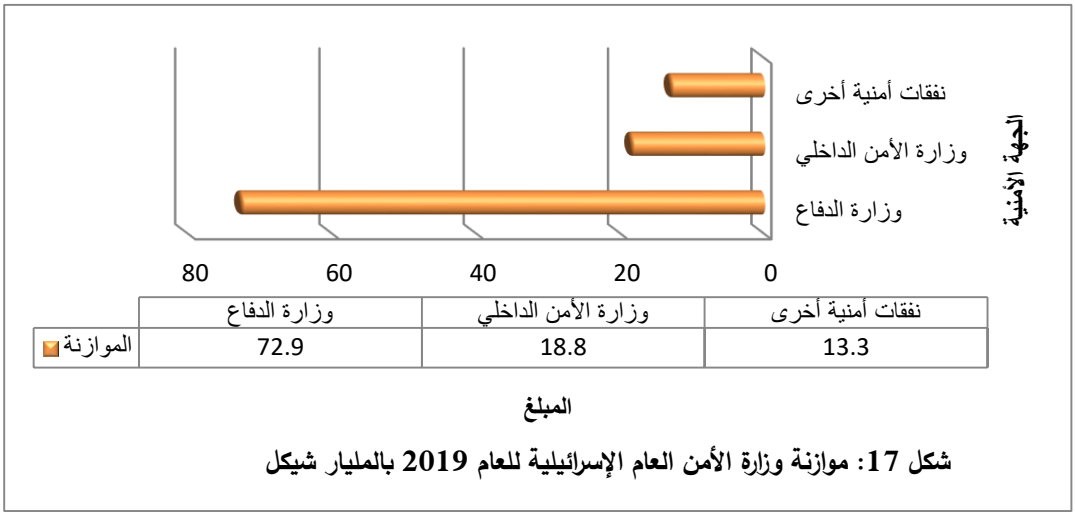

شكل 17: موازنة وزارة الأمن العام الإسرائيلية للعام 2019 بالمليار شيكل

يظهر الشكل أدناه تطور الميزانيات في كل عام عما سبق، وهذا يوازي الزيادة السكانية وتصاعد أعمال المقاومة، بالتالي يسعى الاحتلال من خلال ميزانياته لتثبيت وجوده وحفظ أمنه.

[43]

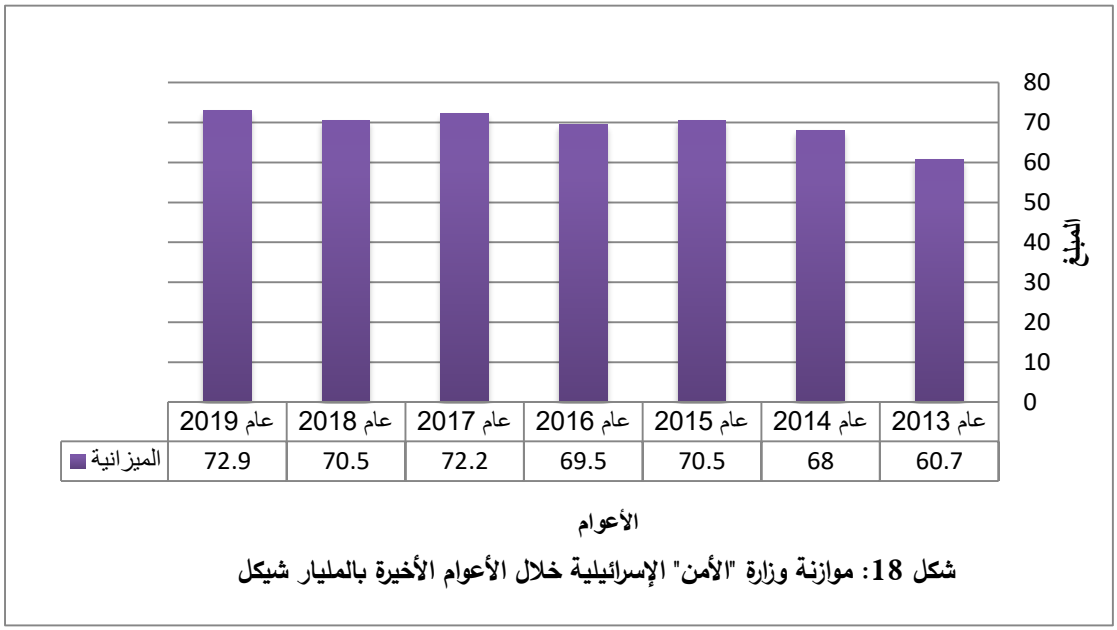

شكل 18: موازنة وزارة "الأمن" الإسرائيلية خلال الأعوام الأخيرة بالمليار شيكل

[42] كتاب اقتراح موازنة الدولة لسنة 2019 – النقاط الرئيسية للموازنة وخطة الموازنة متعددة السنوات، القدس، وزارة المالية الإسرائيلية، شباط 2018. bit.ly/2YcXutG

[43] المصدر السابق.

معنويًا: امتازت المقاومة بخصائص أحالت المستوطنين للعيش بحياة فاقدة للطمأنينة على ارتدادات حدث أمني بالضفة وصاروخ على غلاف غزة؛ فالعمليات النوعية كانت موجبة كالمد والجزر؛ مما أشعل حربًا نفسية قد ترقى إلى حرب العصابات، حيث لا يوجد مستوطن أو جندي خارج دائرة الاستهداف، إضافة إلى فرض التراجع على الاحتلال كما حدث في هبة الأسباط، والتصعيد على غزة.

أمنيًا: تراجع الأمن الشخصي للإسرائيليين، وبات الفشل الذي مني به الاحتلال سيد الموقف إثر تحطيم المقاومة متاريسًا وضعت أمامها، واستطاع أبناؤها تنفيذ العمليات دون تصفيتهم إلا بعد تكليف الاحتلال بملاحقتهم. كذلك ما تزال العمليات الفردية تأخذ حيزًا كبيرًا من عمل المقاومة، الأمر الذي يقلق الاحتلال لصعوبة عمل إجراءات استباقية ضدها، لا سيما فقدان جدوى الردع المتمثل بالعقوبات عقب العمليات.

سياسيًا: بنت المقاومة قوة ضاغطة على قادة الحكومة اليمينية، وطالما جاءت استقالة "ليبرمان" إبان هزيمتهم أمام المقاومة في غزة[44]، إذن اتضح أن السياسة قد تذهب بعيدًا استنادًا إلى القوة، وهذا ما يشير إليه حل الكنيست والدعوة لانتخابات مبكرة، وعقد "رافي ليفونغروند يحزقيل" والد المستوطنة "كيم"والتي قتلت في عملية "بركان" نيته تشكيل حزب جديد ينافس في الانتخابات، بالتالي ماذا سيحدث بالميدان السياسي لو تم احتواء المقاومين؟!

هل ستتحول المقاومة إلى حراك شعبي؟

يتطلب تحول المقاومة إلى حراك شعبي، خاصة في الضفة الغربية، منظِّمين ومنظَّمين ودوافع. أما الدوافع فتتمثل في توافر مناخات مواتية لتجاوز حدود تحمّل الفلسطينيين. وأما المنظَّمين، الجمهور الفلسطيني، فينقسم لثلاث فئات: فئة تقدّر المقاومين لكنها تفضل المقاومة الناعمة والديبلوماسية، لإيمانها بضرورة توزيع التضحيات وعدم اقتصار دفع الضرائب على أحد، خاصة وسط الانقسام السياسي الأفقي والعمودي واختلاف توجه التيارات، وعقوبات السلطة والاحتلال؛ وفئة ترغب بالعمل الفدائي لكنها لا تفصح خوفًا من التداعيات، تدّعي الحياد، لكن إن وجدت نفسها في الميدان ستطلق العنان وتتحول للفئة الثالثة ظاهريًا، وهي المؤمنة بضرورة المقاومة،

[44] ليبرمان: حماس ألحقت بنا الهزيمة في التصعيد الأخير، وكالة الرأي الفلسطينية للإعلام، 2019/1/9. bit.ly/2tjJ8JC

سواء أكانت الشعبية – الأكثر شعبية فصائليًا – أم المسلحة لاستعادة الكرامة، وتعدّها فرض عين ولو اختزلت في أبنائها وحدهم؛ لتيقنها بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة. وأما المنظِّمين، فالحركة النضالية كي تنمو تحتاج إلى الكل الفلسطيني، فهل الفصائل قادرة على ذلك؟

لا يقود واقع الفصائل إلى توحيد الصف الفلسطيني وخلق بيئة خصبة للمقاومة الشاملة؛ لانشغال الكوادر بالخلافات الداخلية، وتقييد فصائل المقاومة التي أخرجت معظم العمليات النوعية، وإبعاد الشباب عن دائرة العمل السياسي والتنظيمي.

يثبت التصريح بإفشال الأجهزة الأمنية الفلسطينية العديد من العمليات دحرها خيار المواجهة، بل مواجهته كذلك[45]؛ لذلك قد تبقى المقاومة في حالة مد وجزر تبعًا للتضييقات، وقد تتحول لحراك شعبي إن أغلقت كافة السبل. لكن الحراكات الشبابية التي تشكلت كالحراك المناهض لقانون الضمان الاجتماعي يشير لنجاح الفلسطينيين في اختبار معارضة ما لا يناسبهم[46]، ويدلل على إمكانيتهم في بناء آليات لتشكيل حراك مقاوم للاحتلال حتى في غياب التنظيم الفصائلي. فردود الفعل الشبابية على العمليات النوعية تنزع المقاومة من رهن الانقسام ، وتفلت عمليات مقاومة من قيد الاحتلال، إضافة إلى أن نجاحها تحت سياطه يشير إلى إمكانية توسيع هذه الدائرة إن رسمت في إطار حراك هدفه واحد، وهو مقاومة الاحتلال، بغض النظر عن التدهور السياسي الذي ورثه العام 2019، والذي ربما يحمل في طياته انحدارًا أعمق بالمناكفات السياسية. وفي إطار العلاقة الطردية، كلما زاد الخناق السياسي والمعيشي والاحتلالي لن تعيش الضفة ديمومة الصبر وإنما سيضع الانفجار بها أوزاره.

خاتمة

تشهد الساحة الفلسطينية تحديات راهنة ومستقبلية تلقي بظلالها على بيئة غير مستقرة، تتمثل في الانقسام، والتدهور الاقتصادي، وسد أفق إقامة الدولة، وازدياد احتمال الضم، يتخللها جمود سياسي بالركون إلى الوضع الراهن، وحركة شعبية بعودة المقاومة للتصاعد تدريجيًا عقب تراجعها عن العام 2015، لكن بسلوك نوعي متطور يتمثل باتخاذ مسافات جغرافية وتنظيمية

[45] صالح النعامي، التعاون الأمني بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل: محفّزات وتداعيات، مركز الجزيرة للدراسات، 2019/1/2. bit.ly/2I6PzKb

[46] قرار رئاسي بوقف قانون الضمان الاجتماعي، شبكة قدس الإخبارية، 2019/1/28. bit.ly/2Ic9dEN

تضاهي التأمين عن الأعين البشرية والإلكترونية، وابتكار سبل للالتفاف على محاولات إجهاض العمليات، ما يساعد على الإفلات من الإنذارات المبكرة للاحتلال قبيل حدوث العمليات ومن قبضته بعدها، رغم محاولات احتواء الغضب تبعًا لالتزامات التنسيق الأمني، وسط مؤشر ديمغرافي متزايد، وملاذ شعبي آمن يعتبر ويقلد فينذر بالتصاعد الكمي.